الى كل من يهمه امر الإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة

د. محرز الحسيني*

■ في الوقت الذي تبذل فيه قيادات ومنظمات عربية اسلامية الكثير من الجهد والمال والوقت من أجل تحسين صورة الإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة هناك بعض الأئمة يقومون بعمليات منظمة لغسل عقول شباب صغير السن من المراهقين من أبناء الجالية وتشتيت عقولهم بأفكار مشوشة عن الإسلام والجهاد والتكفير والكفر والمجتمع الضال ويقدمون لهم تفاسير نصوص قرآنية منتقاة باسلوب يجعل هؤلاء الشباب يتمردون على آبائهم واسرهم بل وعلى المجتمع الذي يعيشون فيه ويهملون دراستهم ومدارسهم ويمضون اوقاتهم في مشاهدة بعض افلام الفيديو والاستماع لشرائط كاسيت ـ معظمها تقدم لهم مجانا ـ تحتوي على لقطات تظهر اساليب تدريب شباب المسلمين على الجهاد عسكريا وفكريا، الى جانب لقطات اخرى تصور معاناة المسلمين في بعض البلدان الاسلامية تصاحبها مؤثرات صوتية حماسية تتضمن آيات من القرآن الكريم وفقرات من خطب بعض الدعاة التي تحث على الجهاد والشهادة والتضحية بالنفس وارهاب العدو. والنتيجة الطبيعية لهذه العمليات التضليلية أنه اصبح هناك العديد من الأسر المسلمة تتعرض للإنهيار نتيجة انحراف الفكر الديني عند أبنائها، والبعض من هؤلاء الشباب، أو الضحايا، إما في انتظار محاكمات قضائية أو يمضي فترة عقوبة في سجن الأحداث أو تحت مراقبة امنية شديدة ومستمرة نتيجة تعاملهم مع الغير باساليب عدوانية ومحاولة التبشير عن طريق العنف والدعوة الى الجهاد بطرق استفزازية.

والجدير بالذكر ان هناك بعض السماسرة من جنسيات مختلفة، عربية وغير عربية، يندمجون في وسط هؤلاء المراهقين وينتقون منهم افرادا تتوافر فيهم مواصفات خاصة تؤهلهم لعمليات غسيل المخ وان يكون لديهم استعداد طبيعي للإنحراف وتقبل العنف كوسيلة لفرض الفكر والسلوك، ثم يتم بعد ذلك تسليمهم لدعاة منتشرين في بعض المدن الأمريكية. ومن الملاحظ ان اهم معايير انتقاء هؤلاء الشباب هي الاستعداد الفطري للتمرد وعدم اجادة اللغة العربية او تفهم معاني مفرداتها بدقة وان يكون لديهم احساس بالإغتراب ومعاناة واضحة من هوية غير مستقرة ـ أي هوية لا هي شرقية ولا هي غربية ـ بل هوية مشتتة واحساس بالضياع الوجداني وواقع فكري مضطرب يبحث فيه الشاب عن معنى لوجوده وهدف ينتمي اليه يحقق من خلاله ذاته وكيانه. وتحت تاثير أفكار دينية مشوشة تنتابهم حالة من الرفض لكل شيء يحيط بهم .. رفض للاسرة والمجتمع، وتختل بالتالي علاقاتهم مع الآباء والأصدقاء ويقومون بتكسير التماثيل في منازلهم ونزع الصور المعلقة على الحوائط وتخريب التليفزيونات باعتبارها أدوات شيطانية تجسد حالات الكفر والشرك والإنحراف عن الدين والشرع ويطالبون آباءهم بضرورة اطلاق لحاهم ولبس السروال والقفطان ذي مواصفات خاصة واطالة اللحى وتضفير شعر رؤوسهم وفقا للسنة، والإصرار على تحجب امهاتهم بل وضرورة لبسهن النقاب وعدم خروجهن من المنزل. هذا ما يحدث بالفعل مع بعض أبناء الأسر العربية في الولايات المتحدة وليس في بلاد الأم العربية!

ومن اجل الكشف عن دوافع تنامي تلك الظاهرة التي نعرضها على القارئ دون أي مبالغة او محسنات لفظية، التقيت مع شاب صغير يجسد تلك الظاهره فكرا وسلوكا، لكي استمع الى وجهات نظره ومبررات سلوكه ومدى المامه بالمبادئ الأساسية للدين أو معاني ما يقوله من كلمات او جمل عربية ركيكة سطحية المضمون والمعنى، وجدت انه لا يعرف حتى الأركان الأساسية للدين الإسلامي التي يعرفها عامة المسلمين ولا يحفظ عن ظهر قلب من الفكر والتعاليم الاسلامية باللغة العربية الا بعض الآيات المتفرقة من سورتي (الأنفال) و(التوبة) خاصة ما يتعلق منها بالجهاد والتكفير والكافرين وارهاب العدو واعداد القوة. ويصر على ان الواجب الأساسي لكل مسلم في الحياة هو محاربة الكفار من المسلمين وغير المسلمين، وعندما سالته عن تعريفه للكافر اجاب بلا تردد : هو من لا يؤدي واجب الجهاد، وعندما سألته عن الهدف من وراء الجهاد قال ايضا بلا تردد هو الجهاد ضد الكافرين! وعندما حاولت ان اعرف من هم الكافرون في نظره قال (هم كل الذين لا يؤمنون بما آمنت به من حق). استماعي الي هذه الكلمات جعلني استشرف هول الكارثة التي يمكن ان تنقض على الاسلام والمسلمين في امريكا وغيرها من بلاد المهجر ذلك لو اعتنق شباب الاسلام، وهم الجيل الجديد، مثل تلك الأفكار. ونظرا لكوني غير مؤهل للفتوى او التفسير الديني بشكل متخصص ارسلت هذا الشاب الصغير الى صديق لي من دعاة المسلمين املا في اصلاحه، خاصة وهو عالم اثق في فكره ويحمل شهادة الدكتوراة في العلوم الدينية ويجيد اللغة الانكليزية، وعقب مقابلته لهذا الشاب قال لي (انني لا اعرف من أين جاء هذا الشاب المسكين بهذه الأفكار الخاطئة وهذه التفسيرات المضللة لبعض النصوص القرآنية ولماذا لا يعرف من القرآن الكريم الا بعض الآيات المتفرقة من سورتي الأنفال والتوبة فقط.. ان فكره المشتت وسلوكه المضطرب يمثلان ظاهرة خطيرة تهدد الاسلام والمسلمين في هذا البلد وكلها ظواهر سلبية يجب تصحيحها والتعرف على هؤلاء المضللين وابعادهم عن ابنائنا).

الحقيقة المؤسفة في هذا الصدد ان مثل هذا الشاب الصغير الذي لا يتعدي عمره 16 عاما فقط وليس لديه أي خبرة في الحياة او علم صحيح بالشأن الديني او معايير مستقرة لتفهم اصول الفقه والشريعة، هو في الواقع ضحية لظروف ليس له يد في خلقها، شاب صغير حاول ان يجد لنفسه في الدين هوية، فتلقى مفاهيم وتفاسير خاطئة عن مضمون الرسالات السماوية، خاصة وانه يتلقى معارفه من شخصيات تعتبر في تقديره مرجعية فقهية ودينية لا تخطئ في القول أو تحرف معاني الكلمات، وفي نفس الوقت لم يجد في المقابل من يصحح له مفاهيمه وفكره وبالتالي اصبحت لديه قناعة بان الطريق الى الجنة والخلود فيها هو الجهاد (فقط) الذي قدم له ايضا في اطار يخرج عن المعنى الصحيح لهذه الكلمة. ويحق التساؤل هنا: ما هي جناية هذا الشاب الصغير؟ ومن هو المتهم الحقيقي في تلك المأساة؟ ومن ينفق علي هؤلاء الدعاة والسماسرة؟ ولماذا تنفق كل هذه الأموال؟ وهل هذا المنهج يخدم الإسلام والمسلمين أم انه يوظف لصالح جهات اخرى؟ وهل هذا يتم عن علم صحيح أم جهل وعبثية؟

والجدير بالذكر في شأن تلك الظاهرة الخطيرة هو حيرة الأجهزة الأمنية الأمريكية في اختيار الأسلوب الأمثل للتعامل معها وكيفية إنقاذ أبناء المسلمين من هذا الضياع الفكري حفاظا علي الجالية وأمن الدولة المضيفة لها. والإشكالية هنا تتمثل في الآتي: لو ابتعدت الأجهزة الأمنية عن المساجد ولم تتدخل في شؤونها صرخت الجالية وتقول ان الأجهزة الأمنية لا تهتم بمصير ابنائنا وانها تترك عن قصد دعاة يضللون الأبناء ويشوهون افكارهم ويقضون على مستقبلهم لسبب أو آخر.... ولو تدخلت تلك الأجهزة لعادت الجالية مرة اخرى للصراخ وتعلن عن رفضها لتدخل الأمن الأمريكي في شؤون المساجد وعمل الدعاة والدعوة وتستنكر التعدي على حريات ممارسة الدين والعقيدة.. وبالتالي يصبح التساؤل الملح امام جميع أطراف القضية: ما هو العمل وكيف يمكن مواجهة تلك الظاهرة المدمرة لحاضر ومستقبل الجالية العربية الاسلامية في امريكا؟ وكيف يمكن للولايات المتحدة احتواء آثارها المدمرة على الأمن الأمريكي دون التعدي على مساحة الحريات الواسعة المتاحة للجالية الاسلامية؟

لا شك ان هناك العديد من العوامل المتشابكة التي تعوق التعامل مع هذه الظاهرة بشكل واقعي وفاعل في المهجر، لا يتسع المجال هنا للإستفاضة فيها، ولكن من اهمها وجود مدرسة فكرية تؤمن بنظرية المؤامرة وتعلن ان هناك قوى خفية تكره وتخشى من تطور أوضاع الاسلام والمسلمين في أمريكا وتحاول تشويه صورتهم قبل ان تزداد قوتهم ويتعاظم تأثيرهم في المجتمع. وقد يتمادى البعض بالقول ان هذه القوى تحاول الخروج بفكرة تصادم الحضارات بين الشرق والغرب من نطاق النظريات والكتب وتحويلها الى واقع وحقيقة وذلك من خلال تغذية دوافع ومبررات هذا التصادم بخلق جيل جديد من المسلمين يتخذ من التطرف والعنف اسلوبا للتعامل مع قضايا الحياة والمستقبل، خاصة وان نتائج هذا التصادم محسومة قبل ان يبدأ.

وكنتيجة طبيعية لهذا المنهج الفكري يتحول جهد الجالية وفكرها نحو مواجهة عدو خارجي هلامي الشكل غير واضح المعالم يصعب تلمس عناصره، وبالتالي تضيع الطاقات في حرث الهواء. ان مثل هذه العقلية لا تختلف كثيرا عن بعض العقول في الاقطار العربية التي استسلمت لنظرية المؤامرة وتركت حاضرها ومستقبلها ضحية لرؤية قدرية سلبية انتهت بتفكك الأمة وتمزقها وتحولها الى كيانات بشرية هشة فاقدة القدرة والمقدرة على اتخاذ أى مبادرة أو التفكير والعمل بشكل منطقي أو عقلاني. انها نفس العقلية التي تبحث عن أسباب الإنهيار والتراجع من خارج معطيات الواقع بكل حقائقه وظروفه ونقاط ضعفه وعناصر تخلفه.

لا شك ان هذه الظاهرة المتنامية في واقع الجالية الاسلامية بالمهجر الأمريكي تفرض مسؤولية عظمى على الجالية ذاتها، وخاصة على الآباء وأولياء الأمور الذين يتركون فكر وسلوك أبنائهم فريسة سائغة للآخرين، بغض النظر عن نواياهم ودوافعهم المقصودة او غير المقصودة. ان هذه المسؤولية تفرض علي الآباء ضرورة عدم ترك ابنائهم صغار السن يحضرون الجلسات الدينية بمفردهم بل يجب اصطحابهم والاستماع الي ما يقال لهم في الشأن الديني وما لا يقال لهم في بعض المساجد، وان يتحروا بدقة ويعرفوا تاريخ وفكر وآراء القائمين بالدعوة فيها، وعليهم مطالبة مجالس الادارات بضرورة ابعاد كل من يشوه الدين ويحرف التفسير ويضلل الشباب. وهذه مسؤولية تتطلب ايضا ضرورة بناء جسور الحوار مع الأبناء واعطاء النموذج لهم سواء في الفكر او السلوك ومناقشة مشكلة الهوية (Identity Crisis) بموضوعية ومنطق ولغة يفهمها الأبناء وتوجيههم لأنسب اساليب التعامل مع حقائق ومطالب التواجد في المهجر بكل ابعادها الثقافية والاجتماعية والدينية والقانونية، وارشادهم نحو اسس بناء علاقات المسلم مع غير المسلم بما يتفق مع تعاليم الدين الاسلامي الحنيف وان خير وسيلة للدعوة هي اتباع السلوك الحسن واعطاء القدوة الجاذبة، دون ان يفقد هذا الشباب المقومات الأساسية لهويتهم الثقافية والدينية والتاريخية. على الآباء ضرورة التعرف على اصدقاء ابنائهم بل على كل من يختلطون بهم سواء في المدرسة او في اوقات الفراغ، خاصة من أعلنوا اسلامهم من جنسيات اخرى، ومراقبة كل ما يطلع عليه الأبناء على شاشات الكمبيوتر وما يتبادلونه من احاديث ومناقشات عليها.

ان تربية وخلق جيل جديد قادر على تحمل المسؤولية بواقعية وعقلانية في المهجر هي مسؤولية تقع بالأساس على عاتق الآباء والأسرة قبل اي جهة اخرى أمنية أو دينية او تعليمية. وربما يحق الاشارة في هذا المجال الى حقيقة اقتناع بعض الآباء في المهجر بان الدين في المهجر هو الوسيلة الوحيدة المتاحة لهم للحفاظ على الأبناء من الضياع او الانحراف أو التأثر بافكار وسلوكيات قد تتناقض مع التقاليد الشرقية. ربما لا يختلف احد على تلك الحقيقة ولكنها مسألة لها خصوصيتها ومحاذيرها وحساسيتها ايضا وتتطلب توخي الحذر الشديد عند ممارستها وتفرض ضرورة الحفاظ على توازن دقيق بين اساليب التوجيه والارشاد وبين قوة تأثير البيئة الثقافية والاجتماعية والسلوكية التي ينشأ الأبناء في احضانها وتتسرب عناصرها الي وجدانهم بلا ارادة أو وعي. ان حدوث اي خلل في الحفاظ علي هذا التوازن يؤدي بالضرورة الى تقويض اسس الهوية عند الأبناء ويخلق لديهم احساس بالتناقض والضياع والفراغ والتمزق ويجعلهم عرضة للاتجاه نحو نقيض الأشياء. وهذا موضوع يتطلب حديثا خاصا.

ان ظاهرة انحراف الابناء في المهجر سواء من الناحية العقائدية او السلوكية بشكل عام تثير قضية اخرى تتعلق برحلة الهجرة ذاتها واساليب تأهيل المهاجر لمواجهة مشاكلها المعقدة بشكل علمي صحيح. ان اهم ما يفكر فيه المهاجر عادة، خاصة من يصطحب معه افراد اسرته وابنائه الصغار عند بدء رحلته، هو كيفية تأمين موارده المالية التي توفر له ولأسرته حياة مستقرة ولكن من النادر ان يفكر المهاجر مسبقا في كيفية التعامل مع ابنائه واساليب توجيههم وتربيتهم في بيئة تختلف تماما عن البيئة التي هاجر منها. ومن الملاحظ ان بعض الأسر تسترشد في ذلك بتجارب الآخرين أو ان يتبعوا سياسة تجربة الصواب والخطأ ثم تعديل المسار وفقا للنتائج. ومن المؤسف ان المكتبة العربية تفتقر كثيرا الى دراسات تهتم بأساليب تربية الأبناء في المهجر بشكل متخصص.

ان تلك الظاهرة التي بدأت تفرض نفسها على حال الجالية الاسلامية الأمريكية تفرض حتمية الإسترشاد بآراء العلماء والمتخصصين في مجالات المعرفة الانسانية المختلفة، خاصة في الشأن الإجتماعي والعقائدي والسيكولوجي، وذلك لوضع برامج تربوية علمية قابلة للتطبيق والممارسة في بلاد المهجر يمكن ان يسترشد بها الآباء والأمهات عند مواجهة تلك الحالات الفردية التي على الرغم من تباعد مواقعها الجغرافية الا انها قد اصبحت تشكل في مجملها ظاهرة اجتماعية متشابكة ومعقدة لو تركت بلا مواجهة او اهملت وهي لا زالت في المهد ستكون لها نتائج وخيمة وسلبية على وضع ومستقبل الجالية الاسلامية في الولايات المتحدة خاصة في الظروف الحالية التي يعلم الجميع طبيعتها ومتغيراتها المتلاحقة.

* رئيس تحرير صحيفة «المنصة العربية» التي تصدر من الولايات المتحدة ومدير مركز الحوار والدراسات
Email: melhussini@aol.com

«تركة شارون»

أنطوان شلحت*

■ لعلّ المؤرخ والصحافي الإسرائيلي توم سيغف كان الأكثر إصابة للهدف حين كتب من جملة الذين كتبوا، وهو يخطّ رسما بيانيا لما اصطلح على تسميته بـ«تركة شارون» أو «وصيته السياسية» بعد أن أضحى غيابه عن الساحة السياسية الإسرائيلية من «الأسرار المفضوحة»، يقول: لم يرَ ابن المزارعين من كفر ملال (المقصود آرييل شارون) في الجيوش العربية خطرا أساسيا على إسرائيل: فالخطر الأكبر كان يتبدّى له من العرب المقيمين في أرض إسرائيل. وقال ذات مرة «إنني لا أكره العرب، ولكنني على وجه اليقين أؤمن عميق الإيمان بحقوقنا التاريخية على أرض إسرائيل وهذا يفاقم بشكل طبيعي من موقفي تجاه العرب». وهو يقصد عرب البلاد. لقد كانوا العدو الأساس له، مدنيين كانوا أم عسكريين، إذ لم يعتد شارون التمييز بينهم. فقد رأى في هؤلاء وأولئك خطرا على الهوية القومية لإسرائيل «هآرتس»، (2006/1/13).

وأضاف سيغف: ... وشارون لا يختلف في ذلك عن الآخرين (من القادة الصهاينة). فمنذ اليوم الأول لبدء مشروعها في فلسطين أدركت الحركة الصهيونية أنها ستواجه مقاومة عربية. ومنذ اللحظة الأولى التي وصل فيها الطلائعيون لم يكفّ اليهود في البلاد عن السجال فيما بينهم عن أفضل طريق للتعايش مع «المشكلة العربية». وقد درسوا كل احتمال يقع بين ترحيل العرب إلى مناطق أخرى وإقامة دولة ثنائية القومية، كما اختبروا كل احتمالات تقسيم البلاد، ولكنهم (في خضم ذلك) أجمعوا على مبدأ أساسي: أرض أكثر وعرب أقل.

إصابة الهدف هنا أعني فيها على وجه الخصوص، من جهة تسمية «تركة شارون» باسمها الحقيقي، ومن أخرى وضع هذه الـ«تركة» في سياقها الطبيعي، الذي يؤصل الأشياء بإعادتها إلى جذرها الحقيقي ـ وهو تعاطي الحركة الصهيونية مع «المشكلة العربية»، من منطلق مسبق البرمجة ومسبق الأدلجة، ينسحب على شارون كذلك. وفي اشتداد السياسة الإسرائيلية الرسمية مؤخرا حيال المواطنين العرب تحديدا، خبثا ولؤما، تضييقا وتقتيلا، يكمن الدليل القاطع الذي يؤكد موقف شارون السالف التسلسلي.

والآن عشية المعركة الانتخابية ليس من المبالغة القول إن هناك إجماعا صهيونيا يتماشى مع المبدأ الشاروني الأساسي: أرض أكثر وعرب أقل. ويكاد هذا الإجماع يشكل أسّ البرامج الانتخابية للأحزاب الكبيرة كافتها، المنطلق من القناعة بوجوب الانفصال ديمغرافيا عن الفلسطينيين دون الحاجة إلى تحقيق حل عادل ودائم، أي دون الحاجة إلى الانسحاب إلى حدود العام 1967 ودون حق العودة ودون القدس. وبطبيعة الحال يشمل هذا الانفصال، المرغوب فيه، الفلسطينيين في إسرائيل.

وللمعلومية فإن الانتفاضة الثانية وضعت تلك «القناعة» على نار حامية من الجدل والاستحصال، كما سننعش الذاكرة في سياق لاحق، وإن لم تكن مفقودة في الممارسات الإسرائيلية من قبل الانتفاضة أيضا.

وبما أن هذه المقالة تتزامن مع انعقاد «مؤتمر هرتسليا السادس حول ميزان المناعة والأمن القومي الإسرائيلي»، فلا مهرب من ملاحظة أن هذا المؤتمر يشهد على مدار دوراته المنعقدة منذ العام 2000 حتى الآن تصعيدا في «البحث عن حلول» جغرافية لـ«المشكلة الديمغرافية»، التي باتت في أدبياته نعتا ملازما للوجود العربي الفلسطيني داخل الخط الأخضر، وخارجه كذلك.

يتمثل الأمر في المؤتمر الحالي، السادس، في بحث المخطط الذي أعده نائب رئيس «مجلس الأمن القومي الإسرائيلي»، إيهود برافير وتبناه رئيس المجلس، غيورا أيلاند، والداعي إلى ترحيل 40 ألف عربي من البدو في النقب عن أراضيهم بهدف تجميعهم في بلدات جديدة، بالاستناد إلى سابقة فك الارتباط في قطاع غزة وقانون الإخلاء والتعويض.

كما يتمثل في وثيقة تعرض على المؤتمر وتنصّ على تبادل مناطق بين إسرائيل و«دولة فلسطينية عتيدة» أعدتها مجموعة من كبار الخبراء الجغرافيين الإسرائيليين، حجتها الظاهرة إعادة ترسيم «الخط الأخضر» (الحدود)، غير أنها في العمق تستهدف المزيد من الترجمة العملية لمبدأ أرض أكثر وعرب أقل. وبحسب البروفيسور عوزي أراد، رئيس «مؤتمر هرتسليا»، فإن فكرة تبادل مناطق، بما في ذلك مناطق مأهولة بالسكان، ولدت لدى خبراء في الجغرافيا قبل حوالي عشر سنوات («يديعوت أحرونوت» 2006/1/20) وقد وجدت الفكرة هوى في نفوس علماء سياسيين مثل البروفيسور شلومو أفنيري، قالوا إنها خيار لا ينبغي رفضه بالمطلق، وكذلك في نفوس سياسيين تمّ استمزاج آرائهم في هذا الشأن مثل السكرتير العام السابق لحزب «العمل»، د. رعنان كوهين ونائب وزير الدفاع الأسبق، النائب العمالي إفرايم سنيه. وأضاف أن الفكرة جرى فحصها أيضا في إطار «مديرية السلام» التي أنشأها إيهود باراك ومن قبل بنيامين نتنياهو وآرييل شارون، ولم يتم رفضها إطلاقا. وسبق للبروفيسور أريك كرمون، رئيس «المعهد الإسرائيلي للديمقراطية»، أن أخذ على أراد ما اعتبر أنه انضمام حديث إلى «الأصوات الصادرة من مقاعد اليمين المتطرف في إسرائيل بشأن تقيؤ بلدات عربية من إسرائيل في اتجاه فلسطين»، وذلك ضمن قراءة في صحيفة «هآرتس» (11كانون الأول/ديسمبر 2005) لمقال ظهر لأراد في صحيفة «نيو ريبابليك» بتاريخ 28 تشرين الثاني (نوفمبر) 2005، ولكن ليس من موقع التضاد مع هاجس الحفاظ على الطابع اليهودي لإسرائيل، مرة واحدة وأخيرة.

أضاف كرمون أن تلك الأصوات تدعو، تحديدا، إلى «تبادل مناطق مأهولة بالسكان» بحيث يتم إخراج «جمهور عربي إسرائيلي من تخوم سيادة دولة إسرائيل». ومضى قائلا إن طعون أراد عنصرية الطابع وتمسّ بحقوق الإنسان، وبالتالي بأركان الديمقراطية، فضلا عن أنها تتعارض مع الأنماط والمعايير الدولية وغير قابلة للتطبيق العملي. وزاد أن أراد يسوّغ ميكانيزم تبادل المناطق بحجة «زيادة التجانس الإثني». ومعناه نقل خط الحدود بين إسرائيل والدولة الفلسطينية العتيدة، بحيث أن بلدات أم الفحم وعرعرة وبرطعة وقلنسوة والطيبة والطيرة وكفر قاسم «يتم تقيؤها من نطاق السيادة الإسرائيلية».

في واقع الأمر فإن تلك الأصوات لم تعد، منذ مدة طويلة، منحصرة في اليمين الإسرائيلي المتطرف، وإن ما يجري التداول فيه الآن هو حصاد ما تمّ التلويح به، على الأقل منذ أن بدأ مؤتمر هرتسليا في الانعقاد متوخيا أن يؤسس «مداميك المناعة والأمن القومي الإسرائيلي» في مستهل ألفية جديدة، حيث ورد في وثيقته التأسيسية أن التهديد الديمغرافي لاستمرار وجود دولة إسرائيل كيهودية وديمقراطية هو الأكثر قربا ومعقولية. وفيما تبدو وتيرة تطور التهديد متسارعة، فإن وتيرة السياسة القومية حيال هذا التهديد تبدو بطيئة وزاحفة.

كما جاء فيها أن المعضلة المبدئية التي تقف إسرائيل أمامها، إزاء المعطيات والاتجاهات الديمغرافية لدى الفلسطينيين، هي بين سياسة تكيّف وملاءمة مع تلك المعطيات والاتجاهات، من ناحية سياسية وغيرها، وبين سياسة كبح ومواجهة. والحسم بين الخيارين منوط بفهم طابع إسرائيل المستقبلي وشخصيتها السياسية.

سياسة التكيّف مرغوبة لدى المؤيدين لأن تكون إسرائيل «دولة لجميع مواطنيها»، من خلال ملاءمة طابعها القومي ورموزها ومؤسساتها مع الميزان الديمغرافي ـ السياسي المتغير.

مقابل هؤلاء، هناك المؤيدون للحفاظ على إسرائيل كما أنشئت ـ كدولة يهودية للشعب اليهودي ـ وهؤلاء ما زالوا يشكّلون الأغلبية العظمى في أوساط الجمهور اليهودي في إسرائيل، وهم مطالبون صبح مساء بطرح إستراتيجية مضادة تعطي جوابا نافذا وفعالا على الاتجاهات المذكورة أعلاه، «وذلك من خلال الاعتراف أنه في دولة ديمقراطية يمكن حفظ الطابع اليهودي لإسرائيل فقط، إذا لم تنخفض نسبة الأغلبية اليهودية عن حوالي ثلاثة أرباع السكان».

وفي رأي هؤلاء يكمن سحر خيار التكيّف في كونه سلبيا بالأساس، فهو غير مرتبط باحتكاكات، ولا يلزم بأية تحركات فاعلة، باستثناء تنازلات تدريجية عن الأفضلية اليهودية في إسرائيل. مقابل ذلك فإنّ خيار المواجهة يستوجب إستراتيجية فاعلة شاملة تدمج بين إجراءات في مستويات مختلفة، غالبيتها الساحقة مرتبطة بالتغلب على عراقيل ومعارضة، ومرتبطة بهذا القدر أو ذاك باحتكاك داخلي، وربما حتى باحتكاك دولي.

وفيما يلي تصورّ تلك الوثيقة بشأن المركبات الممكنة لاستراتيجية المواجهة، التي «تحثّ» عليها:

ـ سياسة ولادة، توازن العلاقة بين نسب الزيادة الطبيعية في أوساط اليهود والفلسطينيين.

ـ سياسة تشجيع واستيعاب هجرة (يهودية) متسارعة.

ـ سياسة ترسيم حدود الدولة المستقبلية، من خلال أخذ معايير حفظ الأغلبية اليهودية في الحسبان.

ـ موقف حيال قضية اللاجئين يكمن، في أقصى الحالات، عودة إلى مناطق السلطة (الوطنية الفلسطينية) فقط.

ـ سياسة توزيع السكان اليهود في إسرائيل، بصورة تضمن أغلبية يهودية في أقاليم البلاد المختلفة.

ـ سياسة جديدة بالنسبة لحقوق الأقلية العربية وواجباتها في إسرائيل، من جهة، وبالنسبة للإسرائيليين في الخارج، من جهة أخرى.

وهكذا فإنه بالعودة إلى ما تناقلته «يديعوت أحرونوت» عن عوزي أراد وعلى صلة مع خطة «فك الارتباط»، يبدو أن الأيام المقبلة ستكون حبلى بالخطوات، التي لن تنأى عما بقي من «تركة شارون» أو «وصيته السياسية» وستظل مندرجة في إطارها.

* كاتب من فلسطين

لا أدري كيف اصبح بوش رئيسا!

د. يحيى العريضي*

■ كثيرون يعيبون على الامريكيين رئاسة جورج دبليو بوش، ويعتقد هؤلاء ان امريكا تستحق رئيسا يقودها لا بقرار من المحكمة العليا، بل بارادة واختيار الشعب الامريكي.

وكثيرون ايضا يعتقدون ان الرئيس الامريكي الخطأ ايضا كان جيمي كارتر، ولاسباب تختلف تماما عن الرؤية تجاه السيد جورج دبليو بوش. ويقول هؤلاء ان كارتر كان بسيطا وروحانيا، ولكنه كان ذكيا، اما السيد جورج دبليو بوش، فيرى فيه هؤلاء بسيطا وروحانيا، ولكن بخصوص الذكاء يرجى عدم التعليق.

×××

آخر اكتشاف يخرج به أحد رؤساء امريكا يقول ان امريكا في ازمة أخلاقية، ومن تقدم بهذه المقولة، معتبرا نفسه انه اكتشف المطاط أو البلاستيك أو البارود ثانية، ويكاد يصرخ: «وجدتها» ليس الا الرئيس الامريكي الاسبق السيد جيمي كارتر.

لي قصة طريفة مع السيد كارتر، فقد زار الرجل سورية منتصف التسعينات من القرن الماضي، وكان ذلك بعد ان خرج من رئاسة امريكا بأكثر من عقد ونصف عقد. اجريت لقاء تلفزيونيا معه، دام عشرين دقيقة. كان الرئيس مسرورا جدا، تحدث عن السياحة في سورية وجمال الامكنة الاثرية وكرم اهل سورية ودفء سريرتهم وحسن استقبالهم للضيف.

كانت الاجوبة التي قدمها على اسألتي حول اسرائيل وسلوكها، والعلاقة الامريكية ـ الاسرائيلية، ليست خشبية وانما حجرية. كنت اتوقع ذلك، فلا يوجد رئيس او مسؤول امريكي يمكنه أن يذكر اسرائيل بسوء، حتى لو كان لاسرائيل الدور الاساسي في تدميره ـ كما كان الحال مع نيكسون ـ كان سؤالي الذي أزعج السيد كارتر كثيرا يتعلق برؤية المسؤول الامريكي، رئيسا أو غير رئيس للشرق الاوسط خلال فترة مسؤوليته وبعدها، سألته: «سيادة الرئيس لماذا عندما يكون الرئيس الامريكي في سدة المسؤولية يصر على أن يرى المنطقة بعين واحدة، وعندما يخرج من السلطة يبدأ رؤيتها بكلتا عينيه؟!».

احمر الرجل واخضر واصفر، محاولا الانكار بان الرئيس الامريكي يستخدم كلتا عينيه خلال الرئاسة ولكن البلاغة والبهلاونية لم تسعفاه.

×××

استذكرت تلك المقابلة عندما وقعت عيناي على كتاب صدر حديثا للرئيس الاسبق جيمي كارتر. جاء العنوان: «قيمنا في خطر .. أزمة الاخلاق في امريكا» our endangered values, America's moral crisis يحذر الرئيس كارتر من انهيار القيم الديمقراطية واندماج السلطات الثلاث لغرض تمرير سياسة يمينية متعصبة اثبتت فشلها محليا ودوليا.

من الامثلة التي يقدمها كارتر في كتابه عن الشخصيات اليمينية المتطرفة التي تحتل المراكز الرئيسية في ادارة الرئيس بوش السيد جون بولتون، الذي عينه بوش مندوبا للولايات المتحدة في الامم المتحدة، رغم مواقفه المعروفة الهازئة بالقانون الدولي ورغم المعارضة الشديدة التي واجهها في هذا القرار من الكونغرس.

يصف كارتر اسباب هوس الحرب على العراق فيرجعها الى بعض الاساطير الدينية التي يتبناها بشدة بعض المتطرفين الذين هم في مركز القرار في الادارة الامريكية، والذين يؤمنون بان الحرب في الشرق الاوسط ستمكن اليهود من السيطرة على المنطقة مما سيسبب ظهور السيد المسيح مرة اخرى وهو بدوره (اي السيد المسيح) بين التنصر او الابادة حرقا.

في الفصل الحادي عشر من كتابه يعقب كارتر على خروقات حقوق الانسان ويندد بالاجراءات التعسفية التي مورست وتمارس بحق المحتجزين في غوانتانامو وابو غريب وبقية ارجاء العالم.

وفي ختام كتابه يقول كارتر ان على امريكا اتخاذ مواقف مناهضة للحروب والسعي لحل الازمات سلميا وتقديم العون للمحتاجين في العالم، حتى تخرج من ازمتها الاخلاقية وتكفر عما فعلته وجنته على البشرية.

في الامس القريب كذلك فاجأنا الرئيس الامريكي السابق بيل كلينتون بمحاضرة مطولة ألقاها في احدى جامعات لندن حدثنا فيها عن الاسباب الحقيقية التي تروج الارهاب الذي تتبناه المجاميع العربية والاسلامية المتطرفة، وفق تشخيص الادارة الامريكية الحالية، انما عزا جذوره الى الفقر والجهل واختلاف ميزان العدالة في العالم، وكم كان السيد كلينتون بعيدا عن هذا التشخيص عندما كان رئيسا للولايات المتحدة وقائدا عاما لاكبر قوة عسكرية في العالم.

ويبقى السؤال: ترى ما الذي سيكتبه الرئيس الامريكي الراهن السيد جورج دبليو بوش بعد انتهاء ولايته؟

البعض يرجح ان عنوان الكتاب سيكون: «لا ادري كيف اصبحت رئيسا؟!».

* مدير المركز الاعلامي السوري في لندن

فوز حماس انقلاب ديموقراطي اخضر على فتح والسلطة

د. جمال المجايدة*

■ شهد يوم الأربعاء الموافق 25 يناير 2006 انقلابا ديموقراطيا اخضر لحركة حماس على السلطة ولكن عبر صناديق الانتخابات، و سوف يظل ذلك اليوم علامة فارقة في تاريخ الشعب الفلسطيني لانه شهد اول انتخابات ديموقراطية تجري على مستوي فلسطين والعالم العربي والاسلامي، فقد ادلى الناخبون الفلسطينيون بأصواتهم، لاختيار ممثليهم في المجلس التشريعي، واختاروا حماس بالاجماع والاغلبية الصامتة صوتت لحماس لتفاجئ الحركة العالم كله وتحقق الاغلبية الساحقة! جرت هذه الانتخابات تحت مظلة عملية الانتقال السلمي والدستوري للسلطة، التي أعقبت وفاة الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات في نوفمبر 2004، وما تبعها من خطوات ايجابية في سياق التحول الديمقراطي مثل الانتخابات الرئاسية في 9 يناير 2005 لاختيار رئيس جديد للسلطة الوطنية. وجاء 25 يناير وانتهي على خير وحمل للعالم بوادر مرحلة جديدة في العمل السياسي الفلسطيني وربما تشهد المنطقة كلها تغييرات وتوازنات جديدة في ضوء الانقلاب الديموقراطي لحماس على السلطة وعلى فتح التي تحكم العمل الرسمي والشعبي الفلسطيني منذ 40 عاما.

اننا على موعد مع فجر جديد يعقبه تطورات ربما تكون ايضا كلها مفاجئة مثل تحول حماس الي حزب سياسي رسميا لكي تتعامل مع العالم الخارجي باسم الشعب الفلسطيني، وهذا يعني القاء السلاح وحل كتائب القسام رسميا ورفع العلم الفلسطيني بدلا من الرايات الخضراء وارتداء البدلات الانيقة مع ربطات العنق لاداء المهمة بانفتاح ووعي ونضج سياسي وحنكة كافية لمواصلة العمل على بناء مؤسسات الدولة المستقلة، حتى لو تطلب الامر الاعتراف باسرائيل وتوقيع اتفاق سلام نهائي معها، لننتظر ونري مالذي يجري! ومهما حصل الا انه لن يكون اسوأ مما كان على الاطلاق!

انقلاب ديموقراطي على فتح

ماحصل لا يمكن رصد اثاره السياسية في مقال او دراسة لانه بمثابة انقلاب على سلطة حركة فتح وعلى منظمة التحرير الفلسطينية لأن حماس ليست عضوا في منظمة التحرير، ولن تكون جزءا فيها، لانها كانت حركة منبوذة من اهل فتح والمنظمة ولم يتم التعامل مع حماس على انها ربما تواصل قيادة النضال الفلسطيني رسميا وديموقراطيا وبمباركة الديموقراطيات الرئيسة في العالم. لذلك تقابل حماس دعوات القيادة الفلسطينية السابقة عن تفعيل منظمة التحرير ببرود شديد، لأن الدعوات بالتفعيل جاءت فقط عقب هزيمة فتح وبقية الفصائل الاخرى امام اغلبية حماس الساحقة!

على اية حال، لابد من قراءة هذه الانتخابات جيدا وكيف جرت ولماذا حصل هذا التغيير الدراماتيكي الذي ربما كان مفاجئا حتى لقيادة حماس الفائزة.

خلاصة كل هذه الترتيبات القانونية الشفافة، حصدت ح